

واقع اللغة العربية^(١)د/ حسن البنداري^(*)

[١]

من الثابت أن محاولات تطويع اللغة العربية لتساير روح العصر ووسائل الحضارة - قد بدأت منذ عصر الجاحظ المتوفى عام ٢٥٥هـ، واستمرت على أيدي علماء عصره، ومن أعقبهم من النقاد والعلماء. وقد قطعت هذه المحاولات خطوات واسعة منذ منتصف القرن التاسع عشر وخلال سنوات القرن العشرين، فالجاحظ قد دعا في كتابه الحيوان إلى ضرورة أن تتسم اللغة العربية بالسهولة واليسر والواقعية، وأن تلائم مستويات المخاطبين، وتتوافق مع الموضوعات والمعاني التي تعبر عنها، كما حثَّ القائل والكاتب أو الأديب على تجنب الغلظة والصعوبة والإيغال في الغموض على نحو ما يتبين في كتابه: الحيوان.

وقد تبنى هذه الدعوة المؤسسة على "مراعاة خاصيتي السهولة والوضوح" - من أتى بعده من النقاد والأدباء مثل ابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦هـ، وأبي هلال العسكري المتوفى عام ٣٩٥هـ، وأبي حيان التوحيدي المتوفى عام ٤١٤هـ وغيرهم.

(١) كتب هذا البحث في نوفمبر عام ١٩٩٥م، ولم يسبق نشره، وهو ضمن كتاب فيض القلم مقالات في الثقافة والأدب، نشر الأنجلو المصرية، ٢٠٠٥م.

(*) أستاذ البلاغة والنقد الأدبي بكلية البنات - جامعة عين شمس

وفي مطلع عصر النهضة العربية، أي في منتصف القرن التاسع عشر وخلالها - ألحّت على أذهان عدد من الروّاد تلك الدعوة القديمة؛ فقد وجدوا أنها تتناسب وحالة الجمود التي أصابت اللغة العربية بسبب "الضعف الشامل الذي سرى في جسد العالم العربي والإسلامي قرونا طويلة؛ ذلك أن اللغة العربية في ذلك القرن بدت "جسداً بلا روح، وثوبا تقليديا فضفاضاً يخفي العجز عن التجديد، بل العجز عن محاكاة القديم والارتفاع إلى مستواه، لغة جامدة ابتذلت على أيدي الورّاقين والنسّاجين وكتاب الشروح والذبول والحواشي ومصنفي المختصرات وناظمي القواعد والمتون ممن تزخر بهم عصور التخلف"^(١).

وكان من الطبيعي للغة العربية حينئذ أن تشعر بصدمة "الصحوة" مع هذه النهضة ذات الحضارة الحديثة. فكيف لها أن تثبت أمامها ما لم تتسلح بالقوة والمرونة والعصرية؟. ولذلك عمد رفاة الطهطاوي إلى علاج هذه المشكلة حين واجه قضية "التعريب"، وذلك بأن وضع كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز).

وقد توالت جهود كثيرة بعد رفاة الطهطاوي من الرواد في غير مكان بالبلاد العربية في مصر، كعلي مبارك، ومحمد عبده، ولطفي السيد، وطه حسين، ومحمد حسين هيكل، وأحمد حسن الزيات، والعقاد وغيرهم، وفي الشام مثل: فارس الشدياق، وأنيس المقدسي، وأنطوان الجميل، وعيسى المعلوف وغيرهم. إلى جانب الجهود التي بذلتها المجامع العلمية اللغوية مثل: مجمع "البكري" الذي سبق مجمع اللغة العربية بالقاهرة بوقت طويل، ثم مجامع اللغة العربية في كل من دمشق، ومصر، والعراق، والأردن، والجزائر^(٢).

(١) فاروق شوشة. العلاج بالشعر وأوراق أخرى. دار المعارف بمصر ط [١] ١٩٨٢ ص ٩٧.
(٢) العلاج بالشعر ص ٩٧.

[٢]

إن هذه الذكريات عن جهود السابقين لخدمة العربية - قد أثارها قراءة كتاب "اللغة العربية: إضاءات عصرية"^(١) للدكتور حسام الخطيب^٢، الذي صدر هذا العام^(٣). ولئن نجح هذا الكتاب في تحريك موجات هذه الذكريات فإنه يؤكد لنا شدة حاجتنا إليه في خضم الهموم التي تحاصر لغتنا العربية ونحن على عتبات القرن الحادي والعشرين، ولأنه يهدف بشكل أساسي - كما يقول المؤلف - "إلى إثارة الوعي لدى القارئ العربي بطبيعة المشكل اللغوي، وذلك بدلاً مما يذهب إليه أنصار اللغة العربية المتحمسون من ضرورة التغمي باللغة العربية وتمجيدها، بل اتهام كل من يحاول التعرض لقضية اللغة العربية بتهم من مثل المروق، والانحلال. والعداوة للغة وأهلها"^(٤).

وإذا اعتدنا أن "الاقتناع" بما يُطرح على القارئ من أفكار، وبمن يتولى هذا الطرح - أمراً مرغوباً في البحث العلمي، فإن القارئ سيفهم بالاقتناع بقيمة هذا الكتاب حين يقف على "خطورة القضية" التي ينطوي عليها، وعلى "مؤهلات" المؤلف العلمية والبحثية. أما الخطورة فمرجعها أن الحديث الممتد عبر صفحات الكتاب خاص بالحرص المخلص على لغتنا القومية، وبحمايتها من محاولات تسطيحها، وتهميشها، وتحجيمها، وحصرها في زاوية مظلمة لتكون مجرد ذكرى عابرة لا تستحق الأسي ولا الثناء. وأما "مؤهلاته" فتنحصر في "تمكّنه من اللغتين العربية والإنجليزية، وخبرته الأكاديمية والوظيفية، وسعة ثقافته وشمولها، ومشاركاته الدعوية في المشاهد الثقافية والمؤتمرات العربية والدولية الخاصة بمشكلات اللغة وقضايا الأدب والنقد والأدب المقارن.

(١) إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط [١] ١٩٩٥م.

(٢) أستاذ النقد الأدبي والأدب المقارن بكلية الإنسانيات - جامعة قطر.

(٣) تاريخ كتابة المقال نوفمبر ١٩٩٥.

(٤) اللغة العربية. إضاءات عصرية. ص ٤.

[٣]

يتجلى للفاحص المنصف صوتٌ قويٌّ يسرى في صفحات هذا الكتاب، فيعلو أي صوت آخر قد يسمعه، وأعنى به صوت "الاكتراث" بخطورة القضية التي صاحبتة وصاحبها منذ زمن طويل بالقراءة وبالتعامل المباشر معها. نشعر بدلالة هذا الصوت الاكترائي شعوراً غالباً ابتداءً من السطور الأولى بمقدمة الكتاب^(١)، مما يدعونا إلى بحث مظاهر هذا الاكتراث، والكشف عن طبيعتها وهي تتعين في: "صدق الحب"، و"الاحتشاد"، و"المتابعة الميدانية"، و"التأمل"، و"التحليل"، و"التنبيه إلى الأخطار"، و"فحص الجانب الإعلامي للغة"، و"الاقتراحات".

أما المظهر الأول، وهو صدق الحب الموجه إلى العربية فإنه يتمثل في أنه ليس مجرد إحساس حماسي، لأنه حب عملي وضحه المؤلف في مفتتح كتابه، بأنه يتكون من ثلاث قوى مترابطة وهي "الدافع" إلى حبها، و"الهدف" منه، و"الموقف المتبلور في وضعها الراهن"؛ ففوة الدافع ناشئة عن انطلاقها "من حب أصيل للغة العربية، وحرص على مستقبلها، ورغبة في لفت النظر إلى معاناتها معنا ومعاناتنا معها"^(٢).

وقد دعاه ذلك إلى أن يتولى مهمة استحضار النفوس واستجماع قدراتها في نطاق قوة الهدف - بغرض حركي هو "إثارة الوعي لدى القارئ العربي بطبيعة المشكل اللغوي"^(٣). على حين تظهر القوة الثالثة في القناعة الموقفية بأن "اللغة العربية غير مخدمة لغويا وعلميا وتربويا وإعلاميا"^(٤)، ومن ثم يكون من الضروري تقديم خدمات نوعية لها لكي "تنهض بالمتطلبات التعبيرية

(١) السابق، المقدمة ص ٢.

(٢) السابق ص ٣.

(٣) السابق ص ٤.

(٤) السابق ص ٥.

لمختلف مستويات الحياة في المجتمع العربي المعاصر، وحتى لا تكون عبئاً على مستعمليها، ولاسيما من غير المتخصصين في اللغة العربية كالمهندسين والأطباء والموظفين والسياسيين وغيرهم من ذوي المهن^(١).

وقد أسلمه هذا المظهر إلى المظهر الثاني وهو "الاحتشاد" وإعداد النفس لفحص المشكلة. خاصة أنه قد طرح سؤالاً مصيرياً استفز قدراته الثقافية وإمكاناته العقلية وهو: "كيف يمكن أن تعود لغتنا لنا ونعود إلى لغتنا بحيث تنقلص الغربة اللغوية لدى العربي المعاصر؟"^(٢) تصدى المؤلف للإجابة على هذا السؤال "بطاقات الاحتشاد" المستمدة من "المؤهل العلمي" و"الركيزة الثقافية"^(٣) و"تبصر الظواهر"، مما جعله يتعمق "المظاهر الأساسية لهذه المشكلة والنفوذ إلى أسبابها بغية تلمس بعض خطوط العلاج التي من شأنها أن تتيح للغة العربية أن تكون "اللسان الحي العملي الفعال لوطن عربي متفتح متطلع إلى بناء حاضره ومستقبله"^(٤).

ويأتي المظهر الثالث وهو "المتابعة الميدانية" نتيجة للمظهرين السابقين، أي أنه بسبب "حبه الصادق" للغته وإيمانه بها، و"احتشاد نفسه واستجماعها" أمكن له أن يمضي في رحلة "العلاج الميدانية". وأقصد بها تجربته الخاصة أثناء ترأسه قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة دمشق؛ ذلك أنه تمكن من التعرف على عدم قدرة طلاب القسم على استيعاب المطلوب من النص المكتوب (كإعلان عن امتحان مثلاً) - وحرصهم على الاستماع أو التأكد من المسئول المباشر لفظاً وبالعامية. فتوصل من ذلك إلى أن "اللغة الفصيحة تطورت في المجال المكتوب أكثر مما تطورت في المجال المسموع،

(١) السابق ص ٤.

(٢) السابق ص ٤.

(٣) يتمثل في كثرة المؤتمرات التي شارك فيها المؤلف، أكثر من مائة مؤتمر.

(٤) اللغة العربية ص ١٠.

ولكنه تطوّر قائم على رَجُل واحدة، ولذلك تظل مصداقيتها معرضة للخطر كنص مكتوب"^(١).

كما وقف على وقوع طلاب الدراسات العليا في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في سلبية "التعويض اللفظي عن التدقيق اللغوي"^(٢)، التي تعني أن الرسائل العلمية صارت تكتب بلغة غير محددة في الغالب، حيث يسوق الطلاب إليها إضافات تتمثل في: "إيضاحات وتفسيرات تقوي المعنى، فيسقطون في حبال اللفظية والتكرار والإسهاب وغيرها من ظواهر الهلهلة اللغوية"^(٣).

كما فحص مشكلة قصر استخدام اللغة الفصحى على الحديث مع غير العرب ممن يتعلمون في الجامعات العربية، وذلك حين جرى حوار بينه وبين طالبة غير عربية تتعلم في إحدى الكليات الجامعية، وذلك أمام زميل عربي يعمل في إحدى الجامعات الأمريكية^(٤). فقد علق المؤلف بعد انتهاء الحوار وانصراف الطالبة: "ألا ترى ما حدث للغة العربية؟ إنها أصبحت وسيلة للكلام مع الأجانب لا مع العرب. فإذا سمعتني أتحدث باللغة العربية في قسم اللغة العربية فهذا يعني بالضرورة أنني لا أحدث طلبة من العرب"^(٥). ومن ثم دعا المؤلف إلى افتراض أننا نتحدث دائما إلى أجنبي لكي يسود استخدامنا اللغة العربية الفصيحة^(٦)، إذ سيترتب على ذلك: "السيولة والسيرورة وربما تعويد اللسان على الكلام العربي الطبيعي على الأقل. كما يجري تعويده على لَوُك اللغة الأجنبية"^(٧).

(١) السابق ص ٢٢، ٢٣.

(٢) السابق ص ٢٤.

(٣) السابق ص ٢٥.

(٤) قيل هذا الحوار بالفصحى، كانا يتحدثان مع آخرين في مكتب رئيس قسم اللغة العربية باللهجة العامية، كما أشار إلى ذلك المؤلف في صفحة (١٨٩) من كتابه.

(٥) السابق ص ١٨٩.

(٦) السابق ص ١٨٩ - ١٩٠.

(٧) السابق ص ١٩٠.

وأما المظهر الرابع فهو "تأمله واقع اللغة لتحديد أسباب المشكلة" ليتبين له أن ثمة أسباباً أدت إلى معاناة اللغة العربية من مشكلات عملية خطيرة.

السبب الأول هو "التطور التاريخي للعربية". فثمة "ازدهار" لها في العصر الجاهلي والعصور الإسلامية الأولى. وثمة "انحطاط" اتّسمت به في العصور المملوكية، وثمة نهوض في عصر النهضة العربية، وأخيراً نقف على "حالة اللغة الآنية" التي تمثل مرحلة أخيرة لها.

وقد رأى المؤلف أن لغة هذه المرحلة "استمرار نسبي لعصر الانحطاط" نتيجة تدخّل قوى شرسة عالمية تحاول دائماً أن يبقى العالم العربي في جو الانحطاط العام، ذلك أننا حين نحاول أن نتجاوزه نجد "أن السيوف المعادية مسلطة علينا... السيوف العسكرية، والسيوف الفكرية، والسيوف الاجتماعية، والسيوف اللغوية أيضاً. وقد ترتب على هذا أننا نجد صعوبة في الانتقال من الانحطاط إلى التقدم والتطور، وقد انعكس ذلك على اللغة"^(١).

ولذلك نجد أن اللغة العربية بوضعها الحالي "تعاني من عدم استواء زمني تاريخي، كما تعاني من عدم استواء مكاني جغرافي، وكذلك من بلبلة موقفية، مما يجعل التعميم بشأنها مغامرة علمية، كما يجعل كثيراً من الأبحاث المتعلقة بها مفتقرة إلى الدقة النوعية. وبنعكس ذلك على أساليب التعليم وأنماط التعبير، ويفقد المجتمع فرصة وجود مرجعية لغوية معاصرة متفق عليها يمكن أن تقدم القدوة للناشئة، وأن توفر ملجأً يجري الاتجاه إليه لمعالجة التباين في المواقف والاتجاهات"^(٢).

والسبب الثاني هو: الاحتياج الدائم إلى استيراد الأسماء من الخارج لأنها تصاحب مسمياتها؛ لأن المجتمعات العربية تستعين بالمنتجات الفكرية

(١) السابق ص ٣٤.

(٢) السابق ص ٣٧.

والعلمية والعملية الأجنبية مصحوبة بمصطلحات ومقررات وأساليب "لا تنتظر الإذن من المجمع والمؤسسات اللغوية والتربوية، وينشأ عن ذلك خلل وإرباك لغوي بطرق متفاوتة"^(١).

ويتعين السبب الثالث في "الفضفضة" فنتيجة لسيادة الإخفاق في التوصل إلى أي أهداف ولاسيما الهدف القومي التحرري - لم يثبت العرب جدارة في المواجهة الشاملة للقوى الأجنبية التي تناوئهم. كما أن العرب لم يقدموا في العصر الحديث - أي شيء يذكر إلى العالم يختص بالجانب العلمي؛ فالابتكارات الصادرة عنهم إحصائياً لم تتجاوز نصف (1/2%) بالمائة. وقد أثر هذا وذلك في الاستخدام اللغوي على أساس "أن اللغة توفر للناس مهرباً نفسياً من الخيبات أو الإخفاقات، فيتحقق عن طريق الاستعمال اللغوي غير المنضبط ما لا يمكن تحقيقه في الواقع. ولذلك تكبر كلماتنا وتكبر جملنا، ونهرب من اللفظة الدقيقة إلى اللغة الفضفاضة ونستريح. وما أكثر ما انتصرنا واحتفلنا من خلال الكلمات الزائفة وجوانحنا تقطر بدم الهزيمة"^(٢).

وأما السبب الرابع فنراه في "الحرص التقديسي للغة" النابع من اعتبارات مشروعة، دينية وقومية وتاريخية. ولكن قد يتخذ هذا الحرص صوراً مبالغاً بها تصل إلى حدّ التحريم، وتجعل أية محاولة لمناقشة المسائل المتعلقة باللغة "نوعاً من اختراق الخطوط الحمراء يتعرض بسببه المناقش إلى أخطر تهم المروق والتآمر"^(٣).

ويتحدد السبب الخامس في "التقصير في خدمة اللغة"؛ إذ نجد التقصير في صور عديدة مثل: "الكتب" غير المدرسية أو الجامعية التي تعالج المشكلة اللغوية العربية، و"قصر المعاجم" العربية بالقياس إلى معاجم الدول الأجنبية

(١) السابق ص ٣٧.

(٢) السابق ص ٤٠.

(٣) السابق ص ٤١.

التي تساند لغاتها؛ فمعاجمنا قديمة وتحتاج إلى معاجم حديثة نوعيّة، و"قلة الأبحاث اللغوية واللسانية" التي تعني باللغة العربية، و"التخلف" الملحوظ في طرق تدريس اللغة العربية، حيث تتسم هذه الطرق بالتخبط والاضطراب والتجمّد^(١).

وأما المظهر الخامس لاكتراث المؤلف فهو "التحليل الصادر عن التأمل - لمعاناة اللغة العربية". وقد عمد في هذا المظهر إلى إجراءين:

الأول: تحديده الأبعاد الواقعية لمشكلة اللغة العربية، بأن بيّن أنّ هذه الأبعاد تنحصر في ثلاثة هي: البعد القومي، والبعد الاجتماعي، والبعد الثقافي.

أما "البعد القومي": فيرى المؤلف أنه يحتم على أي اتجاه تطوري في أي قطر عربي أن يكون متجاوبا ومتجانسا مع الاتجاهات المناظرة له في الأقطار العربية الأخرى مع ضرورة تجاوز التجزئة والتفرقة لتحقيق هذا التجاوب أو التجانس؛ فالعمل المشترك بين الدول العربية في سبيل لغتنا القومية كفيل بإغناء هذه اللغة والتخفيف من معاناتها، وتوحيد العمل القومي، وذلك "لوضع اللغة العربية في خدمة هدف الوحدة العربية الذي تنتشده أجيالنا وتسعى إليه"^(٢).

ويوضح المؤلف "البعد الاجتماعي" ببيان أنه ما دما نتفق على "أن اللغة وسيلة تفاهم اجتماعي شامل" - فإن ثمة صعوبة تواجه العربية، فهي مطالبة بأن تخدم الحاجات اليومية والدينيوية، وكذلك الرفيعة والبديعة لشعب عربي متباين التركيب الاجتماعي، ولذلك كان من الضروري على اللغة العربية الحديثة أن تفي في وقت واحد بحاجات البدو الرحل والمجتمع المتغرب المملوء حيوية وحركة في العواصم والسواحل. حقا إنها مهمة عسيرة لكنها ممكنة وغير مستحيلة.

(١) السابق ص ٤١.

(٢) السابق ص ٥٢.

ويريد "بالبعد الثقافي": الموقف الثقافي المنشود في أمة تشتد صلتها الحاضرة بماضيها الثقافي. وتبدو الإشكالية هنا في أمرين، الأول: "الحيرة بين إحساس الولاء للماضي"، و"الالتزام بمتطلبات الحضارة الحديثة". ويقترح المؤلف هنا - وضع صيغة توفيقية وهي الأخذ بمنهج "التوازن"^(١) بين هذين الإحساسين. والثاني: هو "التعددية الثقافية"^(٢)، فثمة صيغة ثقافية في مصر تختلف عن صيغة العراق، وتختلف صيغة الجزائر عن صيغة كل من مصر والعراق.. وهكذا.. وهنا صار من الضروري أن ترضى العربية جميع الأذواق والمشارب المختلفة، وإن لم تفعل ستكون جسما غير قادر على الخلق والتوليد والإبداع.

والإجراء الثاني هو: "تحديده لوجوه المشكلة اللغوية"^(٣) التي حصرها في وجوه عملية، وعلمية، وتربوية، عمد إلى تحليلها على النحو التالي:

أما عن الوجه العملي: فقد رأى أن ثمة صعوبة في اعتبار الفصحى لغة للتعامل النوعي اليومي، الاقتصادي، والسياسي، والتعاقدية، فنحن نفكر تجاريا ونتعاقد قانونيا ونحسب ماليا باللغة العامية تماما. ولكن حين نحتاج إلى توثيق خطي فإننا نترجم ما اتفق عليه إلى الفصحى. وهذا التخالف يدل بالقطع على غلبة "التيار السماعي" أو "الشفهي" الذي يجري دائما بالعامية، ويؤكد هذه الغلبة أن الإعلان المكتوب غير مقنع تماما وغير مصدق لدى الناس، ويفضلون ما هو مسموع أو شفهي. ولذلك ينص المؤلف هنا على ضرورة أن تكون الفصحى "لغتنا التي نفكر بها ونتعامل بها" خاصة أنه في حدود هذا الوجه سجّل ثلاثة ملاحظات [١]: إنّ عربية التعامل لغة متفاوتة بين الدول

(١) السابق ص ٥٤.
(٢) السابق ص ٥٥.
(٣) السابق ص ٦٠-٦٣.

العربية [٢]: إن عربية التعامل لغة غير سليمة ويعتورها الخطأ اللغوي. [٣]:
 إن عربية التعامل تعاني من قلق شديد في استخدام المفردات والمصطلحات^(١).
 وأما عن الوجه العلمي فقد وجد أن اللغة في إطاره تتسم بسمات ثلاث:
 السمة الأولى: هي "التفاوت" ويريد به تفاوت التعليم باللغة الفصحى من دولة
 إلى أخرى. ففي سوريا تحقق "تعميم" التعليم بالعربية الفصحى، وفي السودان
 تُدرّس معظم العلوم باللغة الأجنبية، وفي المغرب العربي تُدرس نصف العلوم
 باللغة العربية ونصفها الآخر باللغة الأجنبية، وقد نشأت عن هذا التفاوت
 نتيجتان^(٢): الأولى: الازدواجية بين ممارسة التعليم العلمي بالعربية (وأحيانا
 الكتابة العلمية الميسرة). والثانية: عدم نموّ المناخ العلمي العربي المشترك الذي
 يساعد الطاقات العربية على التفاعل لتقديم إسهام عربي معقول في المشهد
 العلمي العالمي الحديث.

وأما عن الوجه التربوي: فإن المؤلف يستخلص ملاحظتين يسودهما
 إحساسه بالتشاؤم؛ لأن العربية ليست مخدمة من حيث الجانب التربوي؛ فطرق
 تعليمها متخلفة وغير علمية، ولأن المتخرجين كثيرون، ولكن تزداد نسبة الأمية
 اللغوية بينهم، فهم ضعاف، ودليله على ذلك: أساتذة الجامعات ممن يصححون
 أوراق السنة النهائية المشحونة بالأخطاء وهلهلة التراكيب.

ويتجلى المظهر السادس لاكثر المؤلف في حرصه على "التنبية إلى
 الأخطار"؛ فنتيجة لتحليله الموضوعي - عمد إلى وضع أيدينا على الأخطار
 المحدقة باللغة. فقد بين أنها كثيرة ومنها:

١- خطر الخريجين غير المتخصصين في اللغة العربية^(٣) في فروع
 المعرفة المختلفة بالمرحلة الثانوية، وبالجامعات، وذلك أنهم اعتبروا

(١) السابق ص ٦٦.

(٢) السابق ص ٦٩.

(٣) السابق ص ٦٩.

العربية كأنها لغة أجنبية ليس من الضروري إتقانها، ولا التحدث والكتابة بها. والحق أن هذا الخطر راجع إلى القصور في "عدم تطوّر أساليب" تعليم العربية، و"تدني" الناتج التربوي في المدارس والجامعات العربية، و"اقتصاد" خدمة العربية لغويا.

٢- خطر يتعلق بالمعاجم؛ فيلاحظ "عدم وجود معجم عصري للغة العربية"^(١) ليكون مرجعا مقبولا من الجميع، كما هو شأن معجمي (لاروس) الفرنسي، و(اكسفورد) الإنجليزي، و"عدم وجود معجم تاريخي" يساعد طالب اللغة ومتذوق الأدب على معرفة عمر المفردات العربية وكيفية استعمالها في القديم والحديث، والتطورات التي طرأت على معانيها أو إحياءاتها.

٣- خطر عدم وجود "دراسة صوتية مرضية"^(٢) ونحن في هذا المجال نكاد نكون في آخر القائمة.

٤- خطر المناوئين للتعريب واستعمال الفصحى^(٣).

ويتعلق المظهر السابع بدراسته موضوع "اللغة العربية والإعلام"^(٤)، ففحص جانبيين هما "لغة الثقافة والإعلام" و"اللغة العربية وأهل الإعلام".

أما رؤيته للغة الثقافية والإعلام - فقد تبدت في كشفه عن أن "مصطلح الإعلام" في الدول العربية غير محدد وغير متفق عليه، وأن لغة الإعلام غير مخدومة بالمعنى العلمي، وأن "الأبحاث اللغوية المطبقة عليها ما زالت في أول الطريق"^(٥).

(١) السابق ص ٧٢.

(٢) السابق ص ٧٣.

(٣) السابق ص ٩٨، و ص ٩٩.

(٤) السابق ص ١٥٥.

(٥) السابق ص ١٥٦.

ويرى أن لغة الثقافة لا بد أن يراعى فيها "التوفيق بين كفاءة التعبير وكفاءة التأثير"^(١)، لأنه "لا يجوز أن ينسى المرء أنه لا الأدب الحديث ولا الفن ولا الثقافة ولا أي نشاط إبداعي يمكن أن يعين إذا لم ينل استهواء الطرف المتلقي بشكل أو بآخر"^(٢).

ويرى أن للغة الإعلام خواصاً هي: مراعاة مستويات الجمهور، وهي محكومة يتصور مدى استعداده للاستجابة، وهي خاضعة للخطة الراهنة أو الشرط الزمني أكثر مما تفعله لغة الثقافة. وهذه الخواص الإعلامية جعلت اللغويين المتشددين يخشون من التأثير السلبي لهذه اللغة، ولم يرض عنها المثقفون، لأنها تصرف الجمهور عن وسائل الاتصال الثقافي الأكثر جدية والأرفع فناً ولغة^(٣).

وأما رؤيته للغة العربية وأهل الإعلام - فتتبعين في أن "لغة الإعلام" من إذاعة وصحافة تتسم بالترخص والتهاون بشأن قواعد اللغة وإملائها، وتعاني من عدم الدقة في استخدام المفردات ومن التداخل في الجمل، ولذلك فهي ضعيفة التأثير فيمن توجه لهم. كما تتضح في "غموض" التعليق الإعلامي لأسباب سياسية، وفي "عدم إتقان الصحفيين" غالباً للغتهم.

وهنا يعتمد المؤلف إلى طرح محددات اللغة الإعلامية وهي: اللغة الفصحى التي ارتضاها "مجتمعنا لساناً وأداة تفكير وتعبير وواسطة إحساس وشعور وتعاطف وتواصل". وهي العربية الواضحة البسيطة المرنة الدقيقة الحادة في دلالاتها، المستوية في تركيبها البعيدة عن التفاضل والتعرج، المبرأة من التعقيد، والتداخل والمعازلة، وهي اللغة الحافلة بالمصطلح الحديث

(١) السابق ص ١٦٩.

(٢) السابق ص ١٧٠، ١٧١.

(٣) السابق ص ٧٨.

والكلمات المفتاحية والصيغ المتجاوبة مع حركة الحياة .. وهي اللغة التي تراعي قواعد النحو، وهي اللغة المنزّهة عن الخطأ الإملائي.

ولا يمكن التسامح في هذه المحددات حتى ترتقي اللغة الإعلامية؛ "فمثلا لا يمكن أن يكون الرسام رساما إلا بإتقان استخدام الفرشاة واللون، والنحات نحاتا إلا بإتقان استخدام الأزميل، والموسيقي موسيقيا إلا بإتقان النفخ أو العزف أو الضرب على الآلة المعينة - كذلك لا يمكن أن يكون الكاتب الصحفي أو الأدبي كاتباً إلا إذا امتلك ناصية اللغة، وأتقن توظيفها للتعبير عن أغراضه".

ويبدو المظهر الثامن لاكثرائه في تقديمه "طائفة من المقترحات" التي يرى أنها تساعد في علاج المشكلة اللغوية.

الاقتراح الأول هو "واقعية الحلول"^(١)، ويعتمد على ضرورة حلّ المشكلة اللغوية عن طريق هيئة رسمية أو مركز متخصص وليس عن طريق فرد واحد؛ بحيث يكون ما تقرره هذه الهيئة أو هذا المركز من توصيات - ملزما لكافة الدول العربية.

الاقتراح الثاني هو: "إدخال مصطلحات مناسبة"^(٢) على اللغة العربية. وذلك لحاجتها إليها، خاصة أن ثمة توسّعا في الاستعمالات العلمية للغة العربية، تظهر في إمكان تقبل العربية للمصطلحات العلمية المألوفة عالميا كالفيتامين، والهرمون، والأليرجيا، والغنغرينا. وبفضل جهود مجامع القاهرة ودمشق وبغداد، ومكتب تنسيق التعريب، والجامعات العربية - يمكن القول إن ذخيرتنا من المصطلحات جيدة، ولكن مع ذلك ما يزال هناك خلاف كبير حول عدد المصطلحات الأساسية، كما أن هناك مصطلحات كيفية تتداول لفترة من

(١) السابق ص ٧٨.

(٢) السابق ص ١١٧، ١١٩.

الزمن، ثم تحاول المؤسسات المسئولة إحلال مصطلحات أدق محلّها، مما يثير إشكالات متعددة.

الاقتراح الثالث هو: "ضرورة وضع حلّ ثنائي أساسي"^(١) لمسألة المصطلحات يتمثل في أمرين. الأول: توحيد المصطلحات بين الأقطار العربية حتى نوفر على الناشئة بوجه خاص البلبلة التي تتجم عن تضارب المصطلحات. الثاني هو: تغطية الاحتياجات المستمرة إلى مصطلحات جديدة مع إعطاء الأفضلية للنواحي العلمية الأكثر شيوعاً.

الاقتراح الرابع هو: "ضرورة تطبيق المنهج السليم في تبسيط النحو"^(٢)، ويمكن الاستفادة من "طرائق الغربيين في التربية والتعليم" بأن نصطفي منها ما يتناسب وطبيعة لغتنا، حتى نتوصل إلى طريقة لتدريس النحو تختصر على الشادان أكبر جهد ممكن، وتزوين له دراسة اللغة وتوصله إلى المورد عن أقرب طريق.

الاقتراح الخامس هو: "دعم الحلول المطروحة - بالإجراءات التيمورية"^(٣)، فقد تبني المؤلف وهو بسبيل عرض المقترحات إجراءات الأديب المصري الراحل "محمود تيمور" التي تتلخص في:

١- ضرورة تزويد اللغة. أي إمدادها بالمزيد من الكلمات لتراعي تطورات الحياة الاجتماعية.

٢- تبسيط اللغة، وذلك بتجنب الغريب وتقبل الكلمات المستعملة في العامية، ولاسيما إذا كانت ذات أصل فصيح، بل استعارة كلمات كثيرة من العامية للدلالة على المعاني اليومية والعملية والأدوات التي لها نظير في الاستعمال الفصيح.

(١) السابق ص ٨١.

(٢) محمود تيمور: مشكلات اللغة العربية القاهرة ١٩٥٦ والمرجع السابق، ص ١١٤.

(٣) المرجع السابق ص ١٨٣.

٣- تيسير النحو. وهو أمر لا بد منه وشرط لازم، ويمكن الاستعانة بتجارب النحويين القدامى والإفادة من جوازاتهم.

٤- تعميم الضبط: إذ لا بد من استخدام الشكل أو الحركات في الكتابة، ويجب البدء بكتب المرحلة الدراسية الابتدائية.

الاقتراح السادس هو: تسليط أضواء بحثية حول اللغة العربية - ومناهج تدريسها^(١) - والتوسع في إنشاء مراكز بحوث لغوية في الدول العربية - تضاف إلى المركز الوحيد المتمثل في معهد اللسانيات في الجزائر، وإعداد كتب بحثية لأنه لا يوجد في العربية حتى الآن أي كتاب بحثي أصيل مهم في مجال اللغويات. ويجب الاهتمام بهذا الجانب البحثي حتى تضيق الهوة بين اللغة وأهلها، وحتى نقضي على تلك المعاناة الفكرية النفسية العلمية.

الاقتراح السابع هو: "توظيف الأدب في تطوير اللغة"^(٢). وذلك أن اللغة كما أكد شعراء (البياد) في فرنسا، والشعراء والنثراء العرب أمثال الكواكبي، وشوقي وحافظ، وطه حسين، والعقاد، والمازني، وغيرهم - أكدوا أن اللغة لا تنمو إلا على يد أديب عظيم يرتضيه الشعب، بحيث تتضافر "الجهود البحثية مع جهود الممارسة الأدبية، على ألا ننسى أن اللغة ليست أداة الأدب فقط وإنما أداة الحياة على رحبها وتنوعها".

الاقتراح الثامن هو: "تخصيص سنة عربية لمعالجة اللغة العلمية"^(٣)، مثلما تفعل منظمة اليونسكو بالنسبة لبعض المشكلات الصعبة، بأن نادي بتخصيص سنة كاملة للنهوض باللغة العربية العلمية من جوانبها البحثية والمصطلحية والمؤسسية، وكذلك من ناحية الممارسة، على أن يكون ذلك على مستوى المؤسسات في الوطن العربي بأكمله.

(١) السابق ص ١٨٢.

(٢) السابق ص ١٩٣.

(٣) السابق ص ١٨٥-١٨٦.

وفي ضوء هذه المظاهر الاكتراثية باللغة العربية يتبين لنا أن المشهد اللغوي العربي الحديث ونحن على أبواب القرن الحادي والعشرين، يقتضي من الأجهزة أو المؤسسات الراعية للغة العربية أن تدرك أن هذه اللغة تعاني من تحدٍّ كبير "لا يأتي من تهديد الاندثار وإنما يمكن أن يأتي من شبح التجمّد والتقصير عن مواكبة مستلزمات الحياة ومستجداتها"^(١)، ولاسيما أنها أصبحت لغة ثلاث وعشرين دولة عربية، واعترفت بها هيئة الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية. كما تعكس هذه المظاهر الجهود الشاقة التي بذلها المؤلف متمثلة في البحث والتنقيب والتجربة والمتابعة والتأمل والتحليل وفحص الآراء المخالفة والمتوافقة معه، وتقديم المقترحات البناءة في إطار منهج موضوعي مزوّد بروح علمي منصف غير متعصب وترفده ثقافة واسعة. وهو ما يجب أن يتسم به دائماً أسلوب البحث العلمي المعاصر لكافة القضايا والمشكلات.

(١) السابق ص ١٦٩.